العرب
السبت 2021/01/30
السنة 43 العدد 11956

لاجئات في مصر يخففن لوعة الغربة في جلسات وناسة

الوباء يضع الأفريقيات في مواجهة مع قدراتهن على التضافر

استطاعت مجموعة من اللاجئات في مصر، غالبيتهن من السودان، تغيير الأجواء الثقيلة التي شاهدنها خلال اجتماعهن مع إحدى المنظمات المدنية ليسردن أزماتهن، بفنجان قهوة وجلسة سمر، لتتحول حالة الغمّ والألم وهن يحكين قصصهن مع صعوبات في الدمج داخل المجتمع المصري إلى ضحكات وتمايل على نغمات أغانٍ تحمل رائحة الوطن.

رحاب عليوة
كاتبة مصرية

حلوى ومرح

لقمة صعبة زمن الحجر

القاهرة – في ضاحية إمبابة الشعبية بمحافظة الجيزة القريبة من القاهرة، يُلاحظ تمركز كبير للاجئات سودانيات وإرتريات وصوماليات، وعلى الرغم من أن غالبيتهن يقمن منذ سنوات طويلة، غير أن اندماجهن في المجتمع لا يزال بعيد المنال، ما جعل مهمّة التخفيف من مشاعر الغربة واستحضار الوطن شاغلا رئيسيا.

وبفضل صحافية سودانية، هجرت الصحافة على أعتاب مصر، بات لدى هؤلاء اللاجئات أوطان صغيرة يقمن داخلها، تحديدا في مركز للتعليم والنشاط المجتمعي تحت اسم "أجيال المستقبل"، افتتحته ميسون عبدالسلام وزوجها لكسر شعور الغربة في بلد اللجوء.

ولا تفعل ميسون أكثر من أن تستقبل السيدات بضحكة بشوشة وضيافة سودانية كريمة وآذان صاغية، وتتولى تسجيل الشكاوى والنكات وتتفاعل مع كل منها بالاهتمام ذاته.

وليس لهؤلاء أكثر من هذا كي يمررن به ثقل أيامهن، وبات "فنجان القهوة" يتعدى دائرته الضيقة ليضيف هالة من البراح المؤقت على معيشة هؤلاء اللاجئات اللاتي يُنفضن همومهن بمجرد جلوسهن داخل إحدى ساحات المركز.

واستضاف مركز "أجيال المستقبل" محررة "العرب" في إحدى الجلسات للفضفضة التي يكررنها كلما شعرن بالحاجة إليها، كما أن تلك الجلسة سبقتها أخرى تمثلت في اجتماع مع إحدى المنظمات المدنية لبحث تقديم قروض صغيرة لافتتاح مشاريع.

وتطرقت الجلسة الأولى إلى الأوضاع الاقتصادية للاجئات وأسرهن والصعوبات التي واجهنها في ظل جائحة كورونا، والمهن التي يعملن بها، وتعامل المصريين معهن ومدى تقبلهن.

وتتقاطع معاناة اللاجئات على اختلاف جنسياتهن، فيما تظل الأصعب مع صاحبات الجنسيات الأفريقية، حيث يواجهن تنمرا حتى أن أكثر من لاجئة كررت العبارة.

ويواجه بعض اللاجئات التحرش اللفظي في الشارع، ولا يستطعن تقديم شكاوى ليتجنبن المزيد من المضايقات من قبل بعض الأهالي.

وتسلك اللاجئات طريقين، الأول "المشي جنب الحيط" وفق المثل المصري الرائج، فيما اختارت أخريات طريقة "التعامل بالمثل"، لكنهن تؤكدن عدم قدرتهن على المجاراة.

وخلال جائحة كورونا تضاعفت أعباء اللاجئين، حيث توقف الدعم المادي والمشاريع المجتمعية التي ترعاهم.

وقالت ميسون عبدالسلام "فجأة شعرنا أننا معلقات في الهواء دون سند أو غطاء". وهنا ظهرت قوة "فنجان القهوة" من جديد كجلسة مساعدة وكيف أن شيئا كهذا يمكن أن يساعد الآخرين.

وأضافت لـ"العرب"، "من كان يملك كيس أرز كان على استعداد لمشاركته مع الآخرين، بدأنا الدعم بوجبة أرز باللبن، وقد كانت بالنسبة إلى بعض الأسر جل ما تملكه في رمضان الماضي، وخلال تلك الأزمة أيضا تشاركنا مع الناشطة في المجتمع المدني شروق مصطفى التي أطلقت مؤسسة 'مستورة' لدعم الأسر المحتاجة".

جلسات تعنى بطرح المشاكل والفضفضة حول فنجان القهوة والحلوى على رائحة البخور السوداني

وبفضل جهود شروق وميسون وصديقاتها من اللاجئات وتبرعات الأهالي استطعن تغطية احتياجاتهن كي تمر الأزمة، وتعود الأمور إلى نصابها، فمن يملك متجرا عاد إلى افتتاحه ومن كانت تعمل معينة منزلية عادت إلى عملها، وانتظمت الأفراح بليالي الحنة السودانية التي تمثل مصدر دخل للكثيرات.

وبعد تداول الأزمات زمن كورونا، انتهت اللاجئات إلى رفض فكرة منحهن قروضا يضطررن إلى إعادتها، فيما لا يثقن في مستقبل أي مشاريع لهن، ما يعرضهن لأن يصبحن ليس لاجئات فقط، وإنما لاجئات ومدينات.

ومع ذلك طلبت لاجئات أن يحصلن على منح لإعانتهن على افتتاح مشاريع دون حمل هموم نجاح المشروع أو عدمه.

وخلال حديث لـ"العرب" مع بعضهن لمست رغبتهن في أن يحافظن على بساطتهن داخل المجتمع ويتحملن تلك الحالة من القلق وعدم الاستقرار، على خلاف ما تفعله الجالية السورية مثلا أو الجالية اليمنية.

ولفتت ميسون إلى أن الاندماج مع أهالي المناطق الشعبية بالنسبة إلى اللاجئين ليس يسيرا، خصوصا الأفارقة، حيث تقف اللغة عائقا في التواصل وتمنع أبناء اللاجئين من الاندماج في المدارس، فيستعيضون عنها بالمراكز التعليمية كمركز أجيال المستقبل.

وأشارت إلى أن مركزها يقدم خدمات لأكثر من 250 طالبا وطالبة من مختلف الفئات العمرية ويقوم بتدريس المنهج السوداني.

والتقت "العرب" أحد التلاميذ في الصف الخامس الابتدائي، وجاء إلى مصر قبل سنوات من السودان وانقطع عن التعليم، وعند سؤاله عن إجادته القراءة والكتابة أجاب بالنفي، وعلل ذلك بأنه انتظم في المركز منذ شهور قليلة.

وبعد نحو ساعتين، فصلا لجلسة اللاجئات مع المنظمة المجتمعية عن جلسة الفضفضة والاجتماع حول فنجان القهوة والفشار والحلوى، لاحظنا أن هناك محاطات برائحة البخور السوداني.

والغرفة نفسها التي استضافتهم في الصباح وحملت حكايات وقصصا ثقيلة، بين التحرش والوصم، حيث روت إحداهن تعرضها لمضايقة من عائلة كانت تعمل عندها في تنظيف الشقة، لكن في غضون دقائق قليلة وبمجرد حضور السيدات واجتماعهن حول الحلوى والقهوة، تبدأ أجواء المرح.

وتتولى إحداهن مهمة الأغاني وتصل سماعة بالهاتف لتصدح بأغان سودانية يدندن معها ويتمايلن.

وعلى ذكر الأفراح تتولى قائدة المجموعة ميسون، زف خبر عن خطبة قريبة لإحدى الناشطات معهن، تقفز الفرحة من وجوههن ويبادرن إلى إطلاق الزغاريد المتتالية، ثم يتناقشن في ترتيب موعد لزيارة العروس المرتقبة لإجراء الحنة لها.

وتفرغ فناجين القهوة سريعا، فتميل واحدة على القدر وتحمله، وتبدأ في جولة جديدة من ملء الفناجين ومعها الحكايات، ولا يتحفظن على استقبال من ترغب في الاندماج معهن من مصريات بترحاب.

إحداهن تدعى سناء، جاءت منذ سبع سنوات تجلس متلحفة بالزي السوداني المميز، وتغطي به جزءا من وجهها، لكنه لا يخفي صوت ضحكاتها أو مزاحها المتواصل مع أخريات.

وتقول سناء، لا يزال مقدّرا لي أن أجلس معكن أكثر، ولا يزال في رزقي بعض من تلك الضحكات، وتؤكد أنها ستفتقدها كثيرا بعد أن ترحل.

وكانت سناء قد حصلت على موافقة على إعادة توطينها في بريطانيا منذ العام 2018، وكان يُفترض أن تغادر في مارس الماضي قبل أن تقلب جائحة كورونا كافة الموازين، ولا تعلم متى ستزول الغمة، لكنها رغم ذلك لا تبدي استعجالا أو رغبة آنية في الرحيل، لأنها غير واثقة من أن بريطانيا سوف تحمل لها جلسة قهوة تعيد إليها الشعور بحميمية الوطن.

ومن بين الجالسات، كانت سارة الأكثر خجلا والأصغر سنا، تحمل صغيرتها تالا، فيما تتبادل المشاركة بالضحك دون المساهمة بالنكات.

وجاءت سارة قبل شهرين فقط، ولم تخرج بعد من أثر صدمة الاغتراب الأولى، ولم تستسغ الاستغلال الذي تعرضت له عند استئجار شقتها أو التنمر في الشارع، لكنها رغم ذلك تبدي امتنانا لتلك الجلسة التي تخفف عنها الكثير

فلسطينيات يكسرن قيود المجتمع بفنون القتال

رام الله - تتجمع العشرات من الفتيات الفلسطينيات داخل قاعة في أكاديمية "سبورت بلس" لتعليم العديد من الرياضات الفردية والجماعية في مدينة رام الله بالضفة الغربية، بهدف تعلم أساسيات الفنون القتالية.

وتشهد محافظات الضفة الغربية زيادة ملحوظة في عدد الفتيات المهتمات بإتقان فنون "ووشو كونغ فو" القتالية، رغم نظرة المجتمع لهن، بسبب أن هذا النوع من الرياضة للرجال دون البنات لأنها تسلبهن أنوثتهن بحسب ما يعتقد البعض.

> رياضة الووشو أسلوب قتالي يتبنى مبادئ الفضيلة والسلام ويتجنب العدوان والعنف، وهي لعبة يتم توارثها عبر الأجيال

وتقول بيسان جرار، إحدى المدربات الخاصة بالفتيات لوكالة أنباء شينخوا، إن عدد الفتيات اللواتي ينضممن إلى الحصص الخاصة بتعليم الووشو الصينية يتزايد بشكل مستمر.

وتضيف جرار البالغة من العمر (25 عاما)، أن إقبال الفتيات على هذه الرياضة يعتبر ظاهرة "جديدة"، خاصة أن المتعارف عليه لدى المجتمع الفلسطيني أن الرياضة القتالية مقتصرة على الرجال.

وترى بعض أمهات الشابات اللاتي يقبلن على الرياضات القتالية أنها رياضة لا تناسب جسد الفتيات الناعم، وتزداد مخاوفهن من أن يعزف الرجال عن الزواج بهن، في حين ترى أخريات أن الفنون القتالية تحمي بناتهن من التحرش والاعتداءات في الشوارع، ثم إن الرياضة القتالية تساهم في صقل شخصية الفتاة وتجعلها معتدة بنفسها وبقراراتها.

وتشير جرار إلى أنه على عكس ما هو ما متعارف عليه بأن الفنون القتالية تهدف إلى العنف، إلا أنها في الواقع تعمل على تعليم الأشخاص السيطرة على كافة عضلات الجسم والربط المباشر ما بين عواطفهم وعقولهم لاتخاذ القرار الصائب في الوقت المناسب في حالة الدفاع عن النفس.

وتعتبر رياضة الووشو أحد أنواع فنون الكونغ فو القتالية، وتعد رياضة استعراض والتحام كامل نابعة من الفنون القتالية الصينية، ولها أساليب قتال عديدة.

وعلى الرغم من كون رياضة الووشو أسلوب قتال، إلا أنها تتبنى مبادئ الفضيلة والسلام، وتدافع عنها، وتتجنب العدوان أو العنف، وهذه القيم تتوارثها فنون القتال المختلفة من جيل إلى آخر.

وتقوم رياضة الووشو على عدد من مجموعات الحركة وأنماط الملاكمة، ومهارات حمل السلاح، وبعض أعمال القتال المثيرة، إلا أنها تحتفظ بوظيفتها الأصلية، وهي الدفاع عن النفس.

وتقول جرار إن الووشو لها تاريخ طويل في فنون القتال الصينية، إذ تم تطويرها في عام 1949 في محاولة لتوحيد الممارسات الصينية التقليدية.

وتضيف أن الووشو ومعظم فنون القتال الصينية تعتمد أولا على العقل، حيث تعلم الشخص التركيز على محيطه، ولكن بصرف النظر عن المساعدة على التركيز، فإنها تحسن الصحة أيضا.

وتشير إلى أنها كانت الفتاة الوحيدة المهتمة بإتقان هذا النوع من الرياضة، حيث أنها مرت بالعديد من المعوقات، لاسيما النظرة السلبية التي كانت تعاني منها من قبل مجتمعها، خاصة وأنها ترتدي الحجاب.

وفي محاولة منها لتغيير الرأي الخاطئ، أصرت الشابة على الفوز بجوائز محلية ودولية وأن تصبح مدربة لرياضة الووشو في الضفة الغربية لتثبت للآخرين أن المرأة يمكن أن تحقق أهدافها من خلال التصميم.

وتقول "شعرت بسعادة بالغة عندما فزت بالميدالية الفضية في المسابقة الإقليمية التي أقيمت في لبنان"، مضيفة أنها رفعت اسم فلسطين من خلال مشاركتها في بطولات أخرى.

وانضمت الفتاة بتول عبدالوهاب إلى فريق الووشو كونها رياضة جديدة للفتيات الفلسطينيات.

رياضة الاعتداد بالنفس

وتقول بتول، إحدى المتدربات بعد أن انتهت من استعراض قدرتها على أداء فنون القتال أمام زميلاتها ومدربتها، "لقد ساعدني ذلك على تغيير شخصيتي وأصبحت أكثر انتظاما في حياتي".

وتعتقد الفتاة البالغة من العمر (14 عاما) بأن إتقان الفنون القتالية الصينية يساهم بشكل كبير في المساواة بين الرجل والمرأة، خاصة أن هذا النوع من الرياضة يحتاج إلى العقل أكثر من العضلات.

وتوضح أن "المجتمع ليس حكرا على الرجال فقط، بل يضم النساء معهم أيضا، ويجب علينا جميعا أن نعيش في نفس الظروف"، مضيفة أنها تطمح إلى المشاركة في المسابقات العالمية.

وبحسب طارق خليفة رئيس الاتحاد الفلسطيني لووشو كونغ فو، تتقن نحو 300 فتاة من مختلف الأعمار في الضفة الغربية رياضة الووشو.

ويقول خليفة لـ(شينخوا) إنه يمكن لأي فتاة أن تنضم إلى هذه الرياضة مهما كان عمرها ومهاراتها الجسدية، إذ يمكن تدريبها وتأهيلها لتصبح لاعبة محترفة ومؤهلة للمشاركة في البطولات العربية والدولية.

وبحسب خليفة، فقد فاز عدد من الفتيات الفلسطينيات بميداليات ذهبية وفضية وبرونزية خلال العامين الماضيين، وذلك بفضل تطوير البرامج التدريبية التي اعتمدها اتحاد الووشو كونغ فو الفلسطيني.